

شهداء الفضيله

شهيد المحراب الرابع

آية الله الشيخ محمد صدوقي رحمته الله



في عام ١٣٢٧ هـ ولد لعائلة علمية في مدينة يزد ولد أسموه محمد. ووالده المرحوم الميرزا أبو طالب كان من العلماء الورعين

في تلك الديار وكذا جده الميرزا محمد رضا الكرمانشاهي كان أيضاً مرجعاً لحل مشكلات الناس ومن علماء منطقة سفح كوير الكبير. وبحسب ما كتب على حجر قبر الآخوند ملا مهدي الكرمانشاهي وهو جد الشهيد، يرجع نسب صدوقي إلى الشيخ الجليل الفقيه أبي جعفر محمد بن علي بن حسين بن موسى بن بابويه القمي المعروف بالشيخ صدوقي رحمته الله.

ـ دراسته

تحت رعاية ابن عمه المرحوم الميرزا محمد الكرمانشاهي، أخذ بدراسة علوم الدين، حيث درس كتابي اللمعة والقوانين في مدرسة عبد الرحيم خان في يزد وفي عام ١٣٤٨ هـ قصد أصفهان وحوزتها العريقة لمواصلة الدراسة فيها، فسكن في مدرسة چهارباغ (الإمام الصادق) حالياً. كانت إقامته في قم قد تزامنت مع السنة السادسة للحكم الاستبدادي لرضا خان الذي شدد هجماته على علماء الدين.

ـ صدوقي والنهضة

من بعد قضية لجان المحافظات والمدن في شهر مهر (الشهر السابع) من عام ١٣٤١ هجري شمسي، قام آية الله صدوقي أيضاً بالكشف عن هذه المؤامرة الغادرة وتعبئة العلماء في المنطقة لمواجهةها. في عام ١٣٥٦ هجري شمسي كان العديد من علماء الدين في المنفى، فتحرك هو مع مجموعة من أنصاره ليقطع مسافات شاسعة لزيارتهم جميعاً في مختلف المدن، وكان بالطبع لتفقدته ومساعدته لأسرهم دوره وأثره.

وتزامناً مع جميع المراجيع، قام آية الله صدوقي في الخامس عشر من خرداد (الشهر الثالث) من عام ١٣٥٧ هجري شمسي بالإعلان عن حداث وإغلاق محلاتهم: "في ١٥/٥/٥٧ هـ ومن بعد الصلاة قام المذكور أعلاه في مسجد (حظيرة) من على المنبر، وبحضور أكثر من ألف شخص، بتقديم شكره للتجار وأصحاب المحلات لتعاونهم في إغلاق محلاتهم.

وبهجرة الإمام إلى باريس، تصاعد نشاط آية الله صدوقي؛ فمن خلال تنسيقه للنشاطات، جعل من يزد ومسجد (حظيرة) وداره قاعة آمنة لإيصال البلاغات ومركزاً لتنسيق الكفاح والجهاد. عندما ذهب الإمام إلى باريس، تحسنت الأوضاع وزاد تحرك الجماهير.

وكما تحكي الوثائق، كان لآية الله صدوقي دور مصيري في مختلف الإضرابات والتظاهرات ضد النظام من خلال إصدار البيانات والأوامر الهاتفية الشفوية.

ـ تواجده في الساحة بعد الثورة

بانتصار الثورة في الثاني والعشرين من بهمن عام ١٣٥٧ هجري شمسي، تحرك آية صدوقي من يزد إلى مجلس الخبراء من أجل كتابة دستور الجمهورية الإسلامية. فأدى هناك بعداً آخر من شهامته وشجاعته في كتابة بند ولاية الفقيه.

ـ إمامة الجمعة وممثلية الإمام

كانت إمامة الجمعة وممثلية الإمام مهمة أخرى أكسبها الشهيد شرفاً ونفذاً على أحسن وجه من خلال حل مشكلات الناس وتعديل حالات التطرف، ودفع الناس إلى إعمار المحافظة وتقديم المساعدات إلى المحرومين والمستضعفين. وكان يعمل بديارية وإدارة قوية، بحيث صان محافظة يزد من كل المؤامرات التي كانت تشهدها إيران كل يوم خلال سنوات الثورة الأولى؛ ففي الأيام الأولى للانتصار، كان يقضي على أوكار المؤامرة والفساد للمجموعات اليمينية واليسارية، ويند كل تحرك للأعداء في مهده.

وباندلاع نار الحرب المفروضة، أخذت تتقاطر بجهود المساعدات والقوات من يزد إلى جبهات القتال، وكان هو نفسه يحضر بعض العمليات ليمنح أجواء الجبهة حرارة، حيث كان أروع حضور له في عمليات بيت المقدس وفتح خرمشهر. وعند شهادة أول شهداء المحراب، سمى "المدني بـ" الأسوة" وسمى قاتليه بالأعداء عمي القلوب المضللين من قبل الدول العظمى.

ـ الشهادة

في الساعة الواحدة والنصف تقريباً من بعد ظهر يوم (الجمعة الحادي عشر من تير ١٣٦٦ هجري شمسي) استشهد العالم الرباني والمجاهد الذي لم يعرف الكلل آية الله صدوقي، نصير الإمام والأمة وممثل الإمام وإمام جمعة يزد بقم ضائم في محراب صلاة الجمعة....".



ـ مقالة/ الجزء الأول

أساليب التغيب لفضائل أمير المؤمنين عليّ

(حديث الغدير أنموذجاً)

ـ الشيخ رسول كاظم عبد السادة

والشرعي، وهمة الذين جددوا بناء مسجد الميقات، وبناء مسجد بدر في بدر، وبناء مسجد العقبة في منى، ومسجد عمر ومسجد علي عليه السلام في المدينة.

ومثل هذا الإلغاء للمكان كان إلغاء مكان مرقد الإمام علي عليه السلام في النجف، إمعاناً في تغيب فضائل ومناقب الإمام عليه السلام، وأول من أثار تلك الشبهة هو الخطيب البغدادي، قائلاً: «حكي لنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ، قال: سمعت أبا بكر الطلحي يذكر أن أبا جعفر الحضرمي ـ مطيناً ـ كان ينكر أن يكون القبر المزور بظاهر الكوفة قبر عليّ بن أبي طالب عليه السلام. وكان يقول: لو علمت الرافضة قبر من هذا لرجمته بالحجارة، هذا قبر المغيرة بن شعبة. وقال مطين: لو كان هذا قبر عليّ بن أبي طالب؛ لجعلت منزلي ومقبلي عنده أبداً». وتابعه على ذلك بعض المؤرخين من العامة منهم: ابن عساكر وابن خلكان والذهبي وابن كثير، وقد أبطل هذه الشبهة كثير من العلماء من الشيعة وغيرهم، فقد كتب السيد عبد الكريم بن طاووس رسالة في ذلك ستأها (فرحة الفري في تعيين قبر الإمام علي عليه السلام)، وكذلك رَءً على هذه الشبهة ابن أبي الحديد في شرح النهج.

إن جرّة هؤلاء المؤرخين والمحدّثين، بلغت إلى هذا المقدار وهو إلغاء أماكن بهذه الشهرة، تدعون إلى التأمل في الكثير من المدوّنات التاريخيّة ودراستها دراسة متفحّص لنلّا تخفى علينا حقائق التاريخ واستحقاقات أفراده.

ـ الأسلوب الثاني: تغيب الشهود

ولم ينته الأمر إلى هذا المقدار فقط، بل حاول بعض المؤرخين إلغاء تجمّع جماهيريّ هائل ربما لم يشهد تاريخ الجزيرة العربية مثله؛ إذ إن عدد حضور الغدير يبلغ عند ابن الجوزي: مائة وعشرين ألفاً، وعند الطبرسي: سبعين ألفاً، وقد صرّح الإمام الصادق عليه السلام بأنّه بالرغم من وجود هذا العدد الهائل من المسلمين، لم يستطع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يأخذ حقّه ظاهراً، فقد قال عليه السلام لعمرو بن يزيد: «العجب يا أبا حفص! لما لقى عليّ بن أبي طالب، أنّه كان له عشرة آلاف شاهد لم يقدر على أخذ حقّه، والرجل يأخذ حقّه بشاهدين، إن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج من المدينة حاجاً ومعه خمسة آلاف، ورجع من مكّة وقد شيعه خمسة آلاف من أهل مكّة، فلما انتهى إلى الحجة نزل جبرئيل بولاية علي عليه السلام»، وقد ذكر ابن أبي الحديد أنّ الحضور كانوا مائة ألف.

إنّ وجود حشدٍ جماهيريّ بهذا العدد الهائل لم يكن ذريعةً كافيةً للبخاري ـ مثلاً ـ أو غيره لثبوت صحة هذه الحادثة وما جرى فيها، فكيف بغيره من المؤرخين والمحدّثين؟! فلم أر مثله حقّاً أصيغاً.

والأسلوب الثالث: تغيب المعنى وهناك طائفة أخرى أكثر تضيقاً للحقائق من سابقتها في تغيب الفضائل، هذه الطائفة لما ثبتت عندها الواقعة زماناً ومكاناً تصوّرت في المتن بحثاً عن شبهة تصوّف المعنى المراد منه إلى غير مقصود الشارع ومراده، وهؤلاء هم الذين وقفوا عند لفظ

(المولى) في حديث الغدير، وراحوا يصرفونه إلى معانيه اللّغوية الأخرى، وهي بالطبع غير مرادة للنبي صلى الله عليه وآله في ذلك اليوم. نعم، إنّ لكلمة مولى عدّة معانٍ لغوية، فقد قال ابن الأثير: «وقد تكرر ذكر المولى في الحديث، وهو اسمٌ يقع على جماعة كثيرة، فهو: الرّبُّ، والمالِكُ، والسّيّد، والمُنعِم، والمُعْتق، والثّامر، والمُحبّ، والثّابع، والجزاء، وابنُ العَمّة، والخليفُ، والعقيد، والضيّهر، والعبد، والمُعْتق، والمُنعمُ عليّهِ».

وقد حاول الكثير من المحدّثين صرف هذا المعنى عن الولاية والخلافة، فهذا الفخر الرازي في تفسيره لنا واصله إلى قوله عليه السلام: «من كنت موله فعليّ موله»، قال: «وفي لفظ المولى ههنا أقوال: أحدها قال ابن عباس: ﴿مَوْلَاكُمْ﴾ أي مصيركم، وتحقيقه أنّ المولى موضع الولي، وهو القُرب، قال تعالى: ﴿الْأَرْ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾؛ فالمعنى أنّ النار هي موضعكم الذي تقربون منه وتصلون إليه. والثاني: قال الكلبي: يعني أوّلى بكم، وهو قول الرّجّاح والفراء وأبي عبيدة، وزعم أنّ ما قالته الشيعة ليس تفسيراً، وإنّما معنى، قال: واعلم أنّ هذا الذي قالوه معنى، وليس بتفسير للفظ، لأنّ لو كان مولى وأوّل معنى واحد في اللّغة؛ لصخ استعمال كلّ واحد منهما في مكان الآخر، فكان يجب أن يصحّ أن يُقال: هذا مولى من فلان كما يقال: هذا أوّلى من فلان، ويصحّ أن يقال: هذا أوّلى فلان كما يقال: هذا مولى فلان، ولما بطل ذلك؛ علمنا أنّ الذي قالوه معنى وليس بتفسير، وإنّما تبهنا على هذه الدقيقة لأنّ الشريف المرتضى لما تمتك بإمامة عليّ، بقوله: (من كنت موله فعليّ موله) قال: أحد معاني مولى أنّه أوّلى، واحتجّ في ذلك بأقوال أئمّة اللّغة في تفسير هذه الآية، بأنّ مولى معناه: أوّلى، وإذا ثبت أنّ اللفظ محتمل له وجب حمله عليه؛ لأنّ ما عاده إمّا يبنّ الثبوت، ككونه ابن العَمّ والثّامر، أو يبنّ الانتفاء، كالمتعقّ والمعتق، فيكون على التقدير الأوّل عبثاً، وعلى التقدير الثاني كذباً، وأمّا نحن فقد بيّنا بالدليل أنّ قول هؤلاء في هذا الموضوع معنى لا تفسير، وحينئذٍ يسقط الاستدلال به. وفي الآية وجه آخر: وهو أنّ معنى قوله: ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: لا مولى لكم؛ وذلك لأنّ من كانت النار موله فلا مولى له، كما يُقال: ناصره الخذلان ومعينه البكاء؛ أي: لا ناصر له ولا معين، وهذا الوجه متأكد بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾، ومنه قوله تعالى: ﴿يُفْثَاوْا بِمَاءِ كَالْمُهْلِ﴾.

لكن المعنى للحديث منحصر بالأوّل الذي هو المتقدّم غير معقّد بشيء من الأشياء وحال من الأحوال، قال أبو الصلاح الحلبي: «وأما إفادة الأوّل للإمامة فظاهر، لأنّ حقيقة الأوّل: الأمّلك بالتصرّف، الأحقّ بالتدبير، يقولون: فلان أوّلى بالدم وبالمراة وبالبيتيم وبالأمر؛ بمعنى الأحقّ الأمّلك، فإذا حصل هذا المعنى بين شخص وجماعة اقتضى كونه مفترض الطاعة عليهم من حيث كان أوّلى بهم من أنفسهم في تقديم مراداته وإن كرهوا».

وقال الشيخ الأميني في الغدير، بعد البحث في (المولى) في حديث الغدير، وراحوا يصرفونه إلى معانيه اللّغوية الأخرى، وهي بالطبع غير مرادة للنبي صلى الله عليه وآله في ذلك اليوم. إنّ لكلمة مولى عدّة معانٍ لغوية، فقد قال ابن الأثير: «وقد تكرر ذكر المولى في الحديث، وهو اسمٌ يقع على جماعة كثيرة، فهو: الرّبُّ، والمالِكُ، والسّيّد، والمُنعِم، والمُعْتق، والثّامر، والمُحبّ، والثّابع، والجزاء، وابنُ العَمّة، والخليفُ، والعقيد، والضيّهر، والعبد، والمُعْتق، والمُنعمُ عليّهِ».

وقد حاول الكثير من المحدّثين صرف هذا المعنى عن الولاية والخلافة، فهذا الفخر الرازي في تفسيره لنا واصله إلى قوله عليه السلام: «من كنت موله فعليّ موله»، قال: «أراد بذلك أن جعله علماً يُعرف به حزب الله عند الفرقة». أمّا أبان بن تغلب، فقد قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله: «من كنت موله». فقال: «يا أبا سعيد! تسأل عن مثل هذا؟! أعلمهم أنّه يقوم فيهم مقامه».

صحّة خبر الغدير: «وأما دلالته على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّا مهما شككنا في شيء فلا نشكّ في أنّ لفظة (المولى) سواء كانت نصّاً في المعنى الذي نحاوله بالوضع اللّغوي، أو جملة في مفادها لاشتراكها بين معانٍ جمة، وسواء كانت غربيّة عن القرائن لإثبات ما ندّعيه من معنى الإمامة أو محتقّة بها، فإنّها في المقام لا تدلّ إلّا على ذلك؛ لفهم من وعاه من الحضور في ذلك المحتشد العظيم، ومن بلغه النبا بعد حين ممّن يُحتج بقوله في اللّغة من غير تكبر بينهم، وتتابع هذا الفهم فيمن بعدهم من الشعراء ورجالات الأدب حتى عصرنا الحاضر، وذلك حجة قاطعة في المعنى المراد».

ولهذه الأسباب ولعلم الأئمّة عليهم السلام بأنّ البعض سوف يتلاعب بالمعنى المراد من المولى أو بالحديث عموماً، راحوا يبيّتون لشيعتهم المعنى والمراد بأجلى عبارة لا تحتمل التأويل، فعن سهل بن قاسم النوشجاني، قال: قال رجل للرّضا عليه السلام: يا بن رسول الله! إنّه يروى عن عروة بن الزبير أنّه قال: توفيّ النبي صلى الله عليه وآله وهو في تقيّة، فقال: «أمّا بعد قول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الرّسُول بَلِّغْ مَا أَنزَلَ إِلَيْكَ مِنَ الرّسُولِ﴾ وإنّ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ»، فإنّه أزال كلّ تقيّة بضمان الله عزوجل له، وبين أمر الله تعالى، ولكن قريشاً فعلت ما اشتهدت بعده، وأمّا قبل نزول هذه الآية فلعله.

فمن الواضح أنّ قول الإمام: «أزال كلّ تقيّة»، لا يُراد به المعاني الأخرى التي أراد لها من فشرها به.

وعن إبراهيم بن رجاء الشيباني قال: قبل لجعفر بن محمد عليه السلام: ما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله لعليّ عليه السلام يوم الغدير: «من كنت موله فعليّ موله، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه». قال: فاستوى جعفر بن محمد عليه السلام قاعداً، ثمّ قال: «سئل ـ والله ـ عنها رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: الله مولاي أوّلى بي من نفسي لا أمّر لي معه، وأنا مولى المؤمنين أوّلى بهم من أنفسهم لا أمّر لهم معي، ومن كنت موله أوّلى به من نفسه لا أمّر له معي، فعليّ بن أبي طالب موله أوّلى به من نفسه لا أمّر له معه».

وعن الحسن بن طريف، قال: كتبّ إلى أبي محمد عليه السلام أسأله ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: «من كنت موله فهذا موله»، قال: «أراد بذلك أن جعله علماً يُعرف به حزب الله عند الفرقة».

أمّا أبان بن تغلب، فقد قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله: «من كنت موله». فقال: «يا أبا سعيد! تسأل عن مثل هذا؟! أعلمهم أنّه يقوم فيهم مقامه».

يتضح ممّا تقدّم أنّ معنى (المولى) في حديث الغدير قد تعرّض إلى أخطر هجمة تغيبب وتهميش؛ وذلك بصرف المراد الحقيقي منه الذي نطق به النبي صلى الله عليه وآله إلى ما سواه.

ـ الأسلوب الرابع: قُلب الفضائل إلى مثالب

ومن وسائلهم في طمس الفضائل والمناقب، قُلب الفضائل من الاوصاف السامية المباركة الموضوعّة لها إلى مثالب ومطاعن، فمن ذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله حين احتفى بتنصيب أمير المؤمنين يوم الغدير خليفة للمسلمين ضد اجتماعاً لاحقاً لهذه المناسبة في الجحفة، فنصب خيمة للاجتماع ومبايعة أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت له عليه السلام عمامة اسمها (السحاب)، فعصّم بها أمير المؤمنين عليه السلام، وأمّرههم بالدخول عليه في تلك الخيمة، ومصافحته ومبايعته، فدخل الصحابة واحداً بعد الآخر، حتى أنّ عمر بن الخطاب قال كلمته المشهورة: «بخ بخ لك يا عليّ، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة». فكان أمير المؤمنين بعد ذلك إذا حضر متعماً بتلك العمامة يقول النبي صلى الله عليه وآله: «أتاكم عليّ في السحاب». وهذا هو المعنى الصحيح لما يُنسب إلى الشيعة من قولهم: (جاء علي عليه السلام في السحاب)، والمفهوم لدى عامة المسلمين، ولا يرتاب فيه أحدٌ لوضوحه، إلّا أنّه لم يرقّ لبعض المحدّثين والمؤرخين بقاء تلك الفضيلة الدالة على الغدير، والمذكّره به، فعمد إلى تشويهها إمعاناً في إبطالها وتغيبب حقيقتها.

فقال الملطي في التنبية والردّ: «قولهم (يعني: الروافض:) (عليّ في السحاب)، فإنّما ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله لعليّ حين أقبل وهو متعّم بعمامة النبي صلى الله عليه وآله كانت تُدعى السحاب، فتأوّل هؤلاء على غير تأويله».

وقد نسب عبد الكريم الشهرستاني في (الملل والنحل) (جاء علي عليه السلام في السحاب)، والمفهوم وهم السبائية قولهم: «وهو الذي (يعنى عليّاً عليه السلام) (يجيى في السحاب، والرعد صوته، والبرق تبشّمه)، «أنظر كيف أوّل الحديث افتراءً علينا!

والحقيقة إنّ هذا المعنى لم يتأوّل أحدٌ منهم قط ـ من أوّل يومهم ـ على غير تأويله، كما ذكر الملطي، وإنّما أوّله الناس افتراءً عليهم، وليت الملطي دُنا على فرقة قالت بذلك! وإنّما هم أفراد شذاذ تجد أمثالهم في كلّ ملةٍ ودين، فتعصيم القول بذلك لكلّ الشيعة، ونزهرهم بالروافض وراءه ما وراءه!

وقد جاء كلام الملطي في سياق حديثه عن فرق الرافضة ـ حسب تعبيره ـ وقشّم فريقهم إلى ثمانى عشرة فرقة، ومن تلك الفرق فرقة السبئية، ثمّ قسّم السبئية إلى فرق، ونسب إليهم عدّة معتقدات. فإذا كان قصده أنّ هؤلاء هم الشيعة فقد نسب إليهم كثير من الأمور ظملاً وجهلاً، فالشيعة لا تقول بأنّ الإمام عليّاً عليه السلام لم يمت، ولم تقل بإمامة محمد بن عليّ الذي لا زال يحرسه الأسد في غارا!

تم الجزء الأول ويليهِ الجزء الثاني في العدد المستقبل

المصدر: مجلة الإصلاح الحسيني، العدد الثامن